الطالب العربي السوفي قائد جيش التحرير بالحدود الجنوبية الشرقية

ظروف استشهاده ومصير جُنده (1956-1957)م

Altaalib Al-Arabi El-Soufi Commander of the Liberation Army in the south-eastern border the conditions of his martyrdom and the fate of his soldiers (1956-1957)

د. الجباري عثماني*

otmani0037@gmail.com

جامعة حمّه لخضر بالوادي، الجزائر

تاريخ الاستلام: 2022/08/27 تاريخ القبول 2022/09/06 تاريخ النشر 2022/10/13

ملخص:

تسلط الورقة البحثية الضوء على شخصية هامة، وقائد من قادة الثورة الجزائرية المظفرة قبل مؤتمر الصومام، وهو الشهيد القائد البطل الطالب العربي السوفي، الذي قاد جيش التحرير على الحدود الجنوبية الجزائرية التونسية، فقد كانت له صولات وجولات وجهاد مرير ضد المستعمر الفرنسي؛ قض مضاجعه وأصبح يكيد له الدسائس والمؤامرات للقضاء عليه وعلى جيشه. وصادف ذلك نَصب النظام التونسي العداء له بحجة إيوائه معارضيه، وعُدّ من المتمردين عند قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية.

ونهدف من خلال دراسة الموضوع، أن نتتبع مسيرة الطالب العربي الجهادية كقائد، وكيف أحاط به ثالوث تربص به الدوائر، ونسبر أغوار الظروف التي أحاطت بتصفيته،

* المؤلف المراسل

ومصير جنده من بعده، سواء في سجون الجلاد التونسي أو بعد الحرية والتحرر من قبضة الأخير.

الكلمات المفتاحية: الطالب العربي؛ جيش التحرير؛ تونس؛ الحدود؛ السوافة.

Summary:

he subject highlights an important figure, and a leader of the Algerian Revolution prior to the Soumam Conference, the martyr, the hero leader Altaalib Al-Arabi El-Soufi, who led the Liberation Army on Algeria's southern Tunisian border. The Tunisian regime's hostility came about on the pretext of harbouring its opponents, and the leadership of the Algerian Coordination and Implementation Committee made it a rebel.

Through the article, we aim to follow Altaalib AL-Arabi career in the struggle as leader, how he was surrounded by a triad who sought to kill him, and to explore the circumstances surrounding his liquidation, and the fate of his soldiers after him, whether in Tunisian prisons or after freedom and freedom from the latter's grip.

key words: Altaalib AL-Arabi; Liberation Army; Tunisia; the border; The Souafa.

مقدمة:

عرفت جزائر ثورة التحرير المظفرة، عدة شخصيات قيادية في شمال البلاد وجنوبها، تشربت أرواحهم من معين صاف زلال؛ في حبّ الوطن والذود عن حماه، وتخليصه من براثن العدو الكاثوليكي الغاصب؛ فأبلت الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، مُسلّحة بالإيمان وما وقر في قلوبهم من التغني بعشق الأوطان، ولكن بعضهم عرف نهاية مؤلمة وغامضة أحيانا. ومن أولئك الأشاوس في جنوب البلاد، فقد عرفت منطقة وادي سوف الوَلُودة للأبطال، شخصيات قيادية خلّدت ذكرها في سجل مقاومة المستعمر منذ اندلاع الثورة المجيدة، وأبرزهم القائد الهمام الطالب العربي ڤمودي، الذي قاد جيش التحرير على الحدود الجنوبية الجزائرية التونسية بحكمة واقتدار. وهو ما نحاول في هذه الورقة البحثية، أن نتتبع مسيرته الجهادية كقائد، ونسبر أغوار الظروف التي أحاطت بتصفيته، والمصير المحتوم

لجنده من بعده، وهذا بالإجابة عن السؤال الآتي: ما هي ظروف وملابسات استشهاد القائد الطالب العربي، ومآل جنده بعد نهايته؟ معتمدين في قمش مادة المقال، على مصادر أولية عاشت الحدث أو كانت قريبة منه.

1- ومضة عن نشأة وشخصية الطالب العربي:

1-1- المولد والنشأة:

ولد العربي بن أمحمد بن محمد قمودي المدعو ثوريا "الطالب العربي" خلال عام 1923م بنزلة أولاد حمد "سيف يونس" ببلدة البياضة، إحدى القرى الجنوبية بمدينة الوادي، من أسرة عرفت بالاعتماد على الفلاحة في عيشها. نشأ يتيما بحيث مات أبوه وهو في سن الثالثة من عمره؛ فعاش تحت كفالة جدّه لأمه وخاله، وبين أحضان أمه فاطمة بنت الطيب غربي، ووسط إخوته الثمانية؛ أربعة ذكور وأربع إناث، وهو أصغرهم جميعا، وأنشطهم على الإطلاق. وعندما اشتد عوده أدخله جدّه إلى مسجد الحي لحفظ القرآن الكريم كباقي أترابه؛ فكان أحرص الأطفال على التمسك بالحفظ والتكرار، فجلب عناية شيخه المؤدب الشيخ الطالب محمد الصغير غربي؛ عطفا عليه ليتمه من جهة، ولعلاقته بأبيه المتوفى من جهة ثانية. حفظ العربي الفتى القرآن عن ظهر قلب سنة 1937م؛ عندها أصبح شيخه يكلفه برعاية الأطفال، تحفيظا ومتابعة في حالة غيابه[1].

ونظرا لما يعيشه الفتى من ظلم المستدمر الفرنسي، وما يسمعه من مواقف الشرفاء من هذا الوطن تُجاه هذا الدخيل، كل ذلك ساهم في تأجج حبّ الوطن في نفس الشاب العربي وكراهية المستعمر وأعوانه؛ حيث كان لنشاط جمعية العلماء المسلمين الأثر الكبير في نشر الوعي في الأوساط الشعبية[2]. وبالموازاة مع ذلك كان الطالب العربي الشاب شغوفا بمعرفة المزيد من العلم، فكان يحضر دروس الفقه للشيخ محمد العيد بالعروسي بالزاوية التجانية، ودروس الشيخ عبد العزيز الشريف بالزاوية القادرية، ودروس اللغة والفقه

لدى الشيخ أحمد العبيدي بحي أولاد احمد بالوادي. وفي سنة 1938م انتقل الى زاوية سيدي إبراهيم بنفطة التونسية ليواصل تعليمه بين يدي الشيخ محمد بن حمد النفطي لمدة سنتين. ثم عاد الى موطنه بالوادي وقام بإمامة الجماعة في صلاة التراويح سنة 1940م، كما عاد الى مهنة الفلاحة لفترة من الزمن؛ حيث كان يعول عائلته رغم صغر سنه آنذاك[3].

1-2- صفاته الخَلقية والخُلقية:

وأما عن أوصافه الجسمانية والخُلقية، نقلا عمن عايشوه، فقد كان رجلا مَرْبُوع القد أي ليس طويلاً ولا قصيراً، بل هو معتدل القامة، أبيض البشرة تعلوه حمرة، يتصف بالحنكة والتواضع والإيثار، وكان الطالب متواضعا في مسلكه[4]، لا يكاد الرائي يميزه عن بقية من حوله من الجنود، فهو واحد منهم في مظهره وحديثه، وتلك ميزته في سياسة جنوده حتى أحبوه جميعا وعملوا تحت لوائه على قلب واحد يدفعهم الحب والوفاء؛ لهذا نجده قد كسب قلوب جنده، لِما ملكه من كاريزما مؤثرة، وقيادة حكيمه، وعطف وحنان على من هم تحت قيادته، لا يقبل أن يُمس أو يهان أي فرد من جنوده. وكان إلى جانب هذا كله شجاعا، ولكن شجاعته تمتاز بالهدوء، وقوة الإحساس بالخطر غير أنه يضبط نفسه، في وقت تذهل فيه العقول وتنهار القوى. يرفع شعار: "دعونا نقاتل لتحرير الجزائر وحدها"[5]؛ بعيدا عن الحسابات الجهوية والأيديولوجية الضيقة.

2- الطالب العربي من النضال إلى قيادة جيش التحرير:

1-2- المناضل السياسي في صفوف جيش التحرير:

رحل الطالب العربي في سنة 1952م إلى تونس للعمل بمنجم الرديف، وانخرط في الاتحاد العام التونسي للشغل، وارتبط بالمناضلين التونسيين، وبفضل أجواء النضال التونسي، ازداد وعيه الوطني وبغضه للسياسة الفرنسية، وكان ذلك ممهدا لتجنده في

المقاومة التونسية مع بعض أقرانه السوافة، وقد ساعدته تجربته التونسية في تكوين شخصيته وإثارة الحمية الوطنية[6]. وعند انطلاق الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954م، التحق بها وعيّن مسؤولا سياسيا مكلفا بجمع المال والأسلحة، ونائبا للشهيد سي الجيلالي بن عمر[7] الذي كان قد عيّنه القائد مصطفى بن بولعيد في التاريخ 1955/4/28م، على الشريط الحدودي، من الرديف إلى الحدود الجزائرية الليبية لحماية ومراقبة قوافل السلاح الممونة للثورة. وكُلّف الطالب مع سي الجيلاني بإنشاء قيادة الحدود التونسية -الجزائرية، وشراء المتوفر من الأسلحة لدى المواطنين التوانسة ونقلها إلى الأوراس، وتفعيل مشروع "جيش تحرير المغرب العربي"، بالتنسيق مع الثوار التونسيين الذين رفضوا تسليم أسلحتهم في إطار الاتفاق المبدئي حول "الاستقلال الداخلي"[8].

ومن أجل توسيع القاعدة النظامية الشعبية للثورة؛ أُرسل الطالب العربي إلى وادي سوف لتشكيل خلايا للتجنيد وجمع السلاح والمال، وشحذ الهمم، وبخاصة بعد الضربات الموجعة التي تكبدها العدو الفرنسي في معركة هود شيكة الشهيرة 8-10 أوت 1955م. فأسس الطالب عدة خلايا منها: الخلية الأم بحاسي خليفة يترأسها الحاج البشير غربي، وخلية البياضة ويترأسها شوشان سلطاني، وخلية الوادي ويترأسها محمد بلحاج[9].

كان للطالب نشاطا كبيرا على الحدود الجزائرية التونسية حيث خاض العديد من المعارك ضد قوات العدو، أهمها: معركة بجبل "أم الكماكم" التي تكبد فيها العدو خسائر فادحة ورفعت معنويات المجاهدين وقد خلدها الشعر الشعبي بقصائد عديدة، أما المعركة الثانية فهي معركة زاريف الواعر بجبل سندس بتاريخ 21 أكتوبر 1955[10]، والتي هزم فيها العدو وتكبد خسائر كبيرة أيضا، والتي استشهد فيها البطل سي الجيلالي بن عمر. وإثر استشهاد سي الجيلالي تفرق الجيش، فتقلد شقيقه "محمد بن عمر" المسؤولية وجمع

البقية الباقية من الجنود بعد المعركة، وخاض بهم هجوما على الجيش الفرنسي وسقط شهيدا أواخر شهر أكتوبر 1955م[11].

2-1- الطالب العربي على رأس قيادة جيش التحرير:

وشهدت الشهور الثلاثة بعد استشهاد سي الجيلالي، تعدد القادة، وكان أبرزهم الشيخ صالح الرشاشي، وعثمان سعدي، وعلي درغال التونسي، ووقعت في هذه الفترة بعض المعارك، أبرزها: معركة جبل الزرقة أواخر سنة 1955م، اختلط فيها الدم الجزائري مع التونسي. ومعركة عين طاهر الغربية في جانفي 1956م، استشهد فيها الشيخ صالح الرشاشي، واستشهد كذلك كثير من الجنود، وأُسر العديد من الطلبة المجندين حديثا؛ وهو ما دفع قيادة الولاية الأولى إلى تعيين الطالب العربي بالقيادة العامة السياسية والعسكرية على كامل المنطقة، من تبسة إلى الجنوب وعلى طول الشريط الفاصل بين الجزائر وليبيا وتونس، وهذا في شهر فيفري 1956م[12]، وذلك لعدة اعتبارات[13]:

- أن الجيش الذي كُلّف بقيادته، يعرفه معرفة كاملة، وكان يعمل ضمن قيادته السابقة تحت لواء الشهيد سي الجيلالي.

- نجاح الطالب في المهمة التي اضطلع بها، والموكلة إليه من قيادة الأوراس، والمتمثلة في تمويل الثورة بالسلاح، وتوعية الجماهير وتجنيدهم في وادي سوف، وهذا بتأسيس المنظمة المدنية بالمنطقة، التي لعبت دورا مهما في التجنيد وجمع الأموال للثورة.

- تم اختيار هذا القائد بالتحديد، حتى يكون الانسجام بين القيادة العسكرية، وإدارة الثورة في تونس، التي هي تحت قيادة قادة أغلبهم من منطقة وادي سوف، وعلى رأسها المجاهد السعيد عبد الحي؛ الذي مثل همزة وصل بين الداخل والخارج، يؤازره زميله المجاهد عبد الكريم هالي؛ الذي تولى مهمة تسليح الثورة.

– استقرار الطالب العربي بمنطقة الرديف منذ 1952م كعامل بمنجم الفوسفاط، ومشاركته في الثورة التونسية سياسيا وماليا؛ مما أكسبه نضجا سياسيا وتنظيميا، ومعرفة جيدة بالجغرافيا السياسية والطبيعية لمنطقة الرديف وما جاورها، ومن أحيائها نزلة السوافة، والتي خصص بعض منازلها كمركز لاستقبال المجاهدين، ومركز لعبور التموين، واتخاذها مصحات لعلاج المرضى.

تولى الطالب العربي قيادة جيش التحرير على الحدود أو جيش السوافة - كما يحلو للبعض تسميته - بعد تنصيبه من طرف سعيد عبد الحي المكلف من قيادة الثورة. جعل الطالب مقر قيادته مؤقتا في الرديف، ثم بادر بجمع شتات من بقي من جنود القائدين سي الجيلالي والشيخ صالح. وأعاد هيكلة وتنظيم قيادة الجيش على النحو الآتي[14]:

– الطالب العربي: القائد العام.

– الكاتب الخاص: محمد علي كرام.

وينوب القائد العام:

– علي بوغزالة: مكلف بالإشراف على الجيش والاستخبارات.

– خليفة واده: يساعده على تسيير العمليات العسكرية.

– عبد القادر فقيري المدعو الكردوس: مكلف بالتموين بالسلاح والذخيرة.

– المكي بن علي: مكلف بالإشراف المالي، الاشتراكات والتبرعات.

– لخضر بن عمر المدعو العياط: مكلفا بالشؤون السياسية والإعلام.

وفي شهادة للمجاهد عبد القادر بريك وهو قائد فصيلة ومن قادة جيش الطالب: أن المجاهدين الذين كوّن منهم الطالب نواة جيشه، لا يزيد عددهم عن 30 أو 40 جنديا، وعند سماع سكان مناطق: الرديف والمتلوي وأم العريس، بأن القيادة قد تولاها الطالب العربي؛ هبّ شباب الجالية السوفية في هذه المناطق إلى التجنيد بكثافة. وانصب اهتمام الطالب على جمع السلاح وشرائه بأي ثمن. وصارت تغدق عليه الأموال من سوف

ومختلف مناطق المناجم التونسية[15]. ويُذكر أنه بعث المجاهد لخضر بن عمر العياط، إلى فرنسا لجمع الأموال من المتبرعين من الجالية السوفية، وتشكلت بذلك هيئة غير رسمية تجمع الاشتراكات لصالح جيش الطالب تدعى "اليد السوفية"، وفعلا حصل العياط على مبالغ مالية كثيرة؛ جعلت الطالب يستقبل المجندين بأعداد هائلة، واستطاع في ظرف وجيز أن يكون بهم جيشا كبيرا، بدأ يخوض بهم المعارك التي تُفرض عليهم من الجيش الفرنسي بحنكة وبصيرة، حتى غدت الرديف "محرمة على الجيش الفرنسي نظرا لقوة جيش التحرير"[16].

وقد استفاد الطالب من أخطاء القادة السابقين الذين تكبدوا خسائر بشرية كبيرة؛ نتيجة افتقارهم للخبرة العسكرية والتدريب؛ فاعتمد تكتيك وخطة عسكرية فذة، وهي توزيع الجيش في كتائب صغيرة، وعلى رأس كل كتيبة قائد، فرق تلك الكتائب على جهات متعددة، بحيث تكون المسافات التي تفصل بينها وبين بعضها متساوية، وشكل دائري بينها وبين القيادة العامة، بحيث تسهل المراقبة والاتصالات والنجدات. ولم يتقيد الطالب بخطة واحدة ثابتة للمواجهة، ولا بتقسيم وحيد للقوات، بل يجمع كل القوات بين الفينة والأخرى لتدريبها على خطط متغيرة حسبما يقتضيه الظرف وتمليه المستجدات والطوارئ[17]. وبفضل تعليماته لرؤساء الفصائل أثناء المعارك، أضحى المجاهد في المعركة يَرَى العدو ولا يُرَى، وصار يخوض المعارك بأقل الخسائر البشرية، ويكبد العدو خسائر هائلة في الأرواح والمعدات، وصار العدو يضرب ألف حساب عندما يقرر ملاحقة المجاهدين من جيش الطالب. وقد خشيت فرنسا من توغل هذا الجيش إلى داخل التراب الجزائري بهذه الأسلحة وهذا النظام المحكم[18].

وخاض بهذا الجيش الذي تجاوز تعداده أكثر من ألف جندي عدة معارك طاحنة سنتي 1956-1957م، بحيث تمكن من خوض نحو 47 معركة وحادثة، منها: معركة عين طاهر بتاريخ 1957/1/7م، ومعركة الخنقة في 1957/3/15م وغيرهما[19]. وقد

أوكل إليه القائد عباس لغرور الإشراف على حماية قوافل السلاح القادمة من ليبيا عبر الجنوب التونسي، وتفعيل الوحدة مع اليوسفيين[20]، حيث نسق مع هؤلاء وخاصة ثوار الحوايا[21] في نقل الأسلحة من بنقردان إلى داخل تونس وإلى الحدود الجزائرية. وقد واجه العمل التنسيقي بين الحليفين صعوبات كثيرة؛ فقد خلف الصراع البورقيبي -اليوفسي آثاره الجانبية على جيش التحرير بقيادة الطالب؛ لأن الاتفاقية مع فرنسا بمقتضى معاهدة انهاء الاحتلال لتونس 1956/3/20م، تفرض على السلطة التونسية تصفية النشاط المضر بها من الجزائريين؛ فبدأت السلطات التونسية في الضغط على إدارة عبد الحي ولا سيما في صائفة 1956م. وازدادت التشديدات بعد انعقاد مؤتمر الصومام، الذي خيّب توجهات القيادة الجزائرية الثورية في تونس، وعارضته، إذ ظهرت قيادة جديدة لجبهة التحرير تعطي أولوية المدني على العسكري، وقد شهد هذا المؤتمر غياب قادة الولاية الأولى وهم: عبد الكريم هالي، والسعيد عبد الحي، والطالب العربي، ولزهر شريط، وعباس لغرور. ولما انتقلت لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن المؤتمر إلى تونس استدعت القادة، وطلبت منهم وضع أنفسهم تحت قيادتها، والرجوع للداخل؛ رفضوا ذلك، فتم القاء القبض عليهم وسجنهم، وقُدموا إلى المحكمة التي أنشئت من أجل محاكمتهم، ترأس المحكمة عبد الله بن طوبال وبعضوية عمار بن عودة وعمارة بوقلاز ومحمود الشريف، فحكمت عليهم بالإعدام الذي نُفذ في حينه رغبة للطرفين التونسي والجزائري[22].

في حين بقي القائد الطالب العربي خارج سيطرتهم؛ وهذا ما جعل السعي مشتركا بين الحرس الجمهوري التونسي ولجنة التنسيق والتنفيذ[23]. والذي زاد الطينة بلة، هو حادثة اختطاف طائرة الزعماء الخمسة يوم 22 أكتوبر 1956م عند عبورها التراب الجزائري وهي بين المغرب والجزائر متجهة إلى تونس؛ استغلت الحكومة التونسية هذه الحادثة لتصفية العناصر الرافضة للاتجاه البورقيبي في الثورة الجزائرية، معتبرة إياهم عملاء القاهرة، وهذا بمنطقة الرديف وتوزر ونفطة[24].

3- ثالوث المؤامرة واغتيال الطالب العربي:

3-1- الطالب العربي بين مطرقة المضايقات وعهد الوفاء:

سجل بعض الباحثين، أن هناك تصفيات وحسابات سياسية للجبهة الجديدة بعد مؤتمر الصومام، لا علاقة لها بالجهاد أو بمقاومة الاستعمار، ولكنها تتعلق بالاحتواء والسيطرة على مناطق النفوذ تحضيرا لما بعد الاستقلال. وهكذا سقطت هذه القيادات في لعبة الاتجاه البورقيبي من خلال تصفية الاتجاه الوحدوي ذو البعد الحضاري العربي الإسلامي[25].

وفي إطار إزاحة القيادات السابقة من على مشهد الأحداث، قامت القيادة الجديدة في أفريل سنة 1957م بالاتصال بالمجاهد عمار مقى تحضيرا له ليتولى القيادة خلفا للطالب العربي، وطلبت منه أن يقترح على الطالب تقسيم الجيش إلى ثلاثة أقسام. وبعد عودة عمار مقى من مهمة بجبل الأوراس، يقول المجاهد بلقاسم خالدي: "لقد اجتمع بنا عمار مقى دون استشارة الطالب، وأخبرنا بالخطة التي سيقترحها على الطالب"[26]. ومن هنا نبع الخلاف وانتشر في أوساط جيش الطالب، فمنهم من بقي يسير على خط ونمط القيادة الأولى، ومنهم من اتبع الجبهة الجديدة؛ فأصبحت الوجوه منكمشة بعضها عن بعض، وفي بعض الحالات توشك أن تتشابك الأفواج في مشادات كلامية بين الأخ وأخيه والصاحب وبنيه[27].

وفي خضم هذه الأحداث، قامت قيادة الجبهة الجديدة، باستدعاء أو استدراج الطالب العربي لمقر القيادة بتونس العاصمة للتشاور والتباحث، وأسفرت المحادثات بينهما عن التنازل عن القيادة للمجاهد عمار مقى، وعرضوا على الطالب العمل معهم في تونس. وقبل مبدئيا بالاقتراح، لكن اتصل به آخرون من أنصاره يعلمونه بأن الجبهة ستلقي عليه القبض؛ فصار في حالة ارتباك ولا يعرف كيف يتصرف، ثم كرّ راجعا إلى

الرديف. ويبدو أن اقتراح تغيير الطالب بعمار مقى جاء بعد التنسيق مع السلطة التونسية، إذ استبشرت الأخيرة بأنه سيتولى القيادة عوضا عن الطالب؛ بحكم عدم انتمائه لأي تيار سياسي في تونس[28]. وقد أبانت السلطات التونسية عن حقدها للطالب العربي، وأخذت تكيد له، وحاربته ليس بالسلاح، ولكن بوسائل أخرى مثل تشديد الخناق على طرق الإمداد، والاتصالات بالخارج[29].

وفي أواخر شهر أفريل، التحق الطالب العربي بجبل عين طاهر حيث قيادة الثورة، ونزل عند فصيلة عبد القادر بريك، وبعد أيام قلائل، بعث دورية أتت بعمار مقى وعبد المجيد بوصبيع إلى المكان المسمى "إدارة سي الجيلالي بن عمر"، ودار حوار بينهم. يذكر المجاهد دقاشي، كنا نسمع حوارهم بأصوات عالية دون أن نفهمه، وبعد مشادات عنيفة، تفرق الجمع، ولما بدأ عمار بالنزول من درجات المكان المرتفع، أطلق عليه الجندي الهاشمي لعميري رصاصة؛ ففاضت روحه إلى بارئها. وتعتبر مسألة اغتيال عمار مقى اللغز الغامض، الذي اختلف حوله حتى جنود الطالب، إذ اعتبر بعضهم أنه صنيعة الجبهة الجديدة بمباركة تونسية وبأيادي خفية فرنسية، بل وعمار حاول قتل الطالب لكنه فشل. وهناك من استنكر اغتياله، ووصفه بالمنكر[30].

3-2- محاولة الإبادة وإعدام البطل الطالب العربي والقادة:

وفي هذا المنعرج الحاسم عان الطالب العربي من عدة جبهات ومضايقات، فقد كان الجو مقفرا في مطلع صيف 1957م، وزادت معاناته وجيشه، وأصبح بين ثالوث يتربص به الدوائر، فرنسا وبورقيبة والجبهة الجديدة، وطالت ويلات المضايقات والتظلمات والتعذيب، وحتى الاغتيالات لأبناء الجهة (السوافة) سواء داخل سوف أو الجالية المتواجدة في القرى التونسية. وظهر التمييز واضحا بين صفوف المجاهدين من جيش الطالب، فمن اتبع الجبهة الجديدة يأتيه الغذاء رغدا، والكساء والسلاح، ومريضه يُداوى، ويدخلون الحدود وهم آمنون. وأما غيرهم من جنود الطالب، فقد أصبحوا في بؤس

شديد، فقد أوقفت عليهم السلطة التونسية بمساعدة من الجبهة الجديدة، التموين الغذائي بأنواعه، ومنعوه من السلاح، وأُلقي القبض على كل من يجمعه له كمحمد بالحاج؛ فأصبحت حالة جنده يرثى لها[31].

واشتد الخلاف بين الطالب والسلطة التونسية، وطالبته بمغادرة الأراضي التونسية؛ خاصة بعد أن طلب الحبيب بورقيبة عن طريق والي قفصة من الطالب العربي أن يسلمه الجنود التونسيين الموجودين معه، فرفض، وأجابهم بأنهم يكافحون ضد فرنسا، ولم يقوموا بأي عمل ضد تونس، عندها قال له الوالي: ستندم يا الطالب على هذا الموقف. وفي الحقيقة أن الحكومة التونسية اتفقت مع السلطة الفرنسية على منع دخول الجيش للجزائر من أجل عزل الصحراء عن باقي التراب الوطني عقب اكتشاف البترول فيها. وتظاهرت السلطة التونسية باستعمال جماعة الأمانة العامة (اليوسفيين) إخفاء لحقيقة نواياها، بحيث كان بورقيبة يخطط للزحف إلى النقطة الحدودية رقم 233[32] كي يربح البترول، ويعتبر ذلك حقا لهم[33].

ونتيجة للتضييق البورقيبي –الجبهوي، وخوفا على الجيش من التشتت والانفصال، قرّر الطالب أن يتنازل عن المسؤولية؛ لذلك جاء إلى جبل عين طاهر، وجمع جنده حتى يخبرهم بذلك، وقام فيهم خطيبا وأخبرهم بمقصوده، فرفض الجميع القرار وهتفوا باسمه وتعال التكبير والرصاص، على أن لا يتركهم، وهم خدما له من أجل محاربة الأعداء؛ ولما رأى إصرارهم عدل عن رأيه، وقرّر التوجه إلى ليبيا، وفتح جبهة جديدة على الحدود الجزائرية الليبية بجبال الهقار وتمنراست[34]؛ مما ترك شكوك السلطات التونسية تتدعم، وهي بأن جيش السوافة يريد إشعال الثورة بالجنوب التونسي لتدعيم اليوسفيين.

اتصل الطالب بلجنة التنسيق والتنفيذ يخبرهم بقصد التوجه إلى ليبيا، لكن دون جدوى. كما أجرى اتصالات مع أعيان جانت، فرحبوا بفكرة مجيئه، إذ لما رجع الوفد الذي أرسله الطالب إليهم، أخبروه بأن مناضليها عبّروا له عن استعدادهم، وقالوا له:

يوجد لدينا 200 شخص متطوع من الطوارق، يعرفون شعاب المنطقة، وأماكن الماء، ومواقع تخزين الغذاء[35]. وصادف الطالب معضلة الطريق الذي يسلكه بجيشه، خاصة وأنهم في فصل القيض والحرّ الشديد، أيسلك الطريق الغربي الصحراوي الصعب على الحدود الجزائرية التونسية، أو الطريق الشرقية جهة الجنوب التونسي؛ فاستدعى الجندي الهادي بوغزالة لدرايته بالطريق الأولى، فأعطاه تفاصيل دروبها ومياهها، وحسّن له مسلكها. كما أرسل قبل ذلك مبروك زغدود المسؤول عن فرقة اليوسفيين في جيشه، إلى الجنوب التونسي للأمر نفسه[36]، مكث مدة شهر، ثم عاد واجتمع مع الطالب قرابة نصف يوم في حوار معا؛ وعلى إثر ذلك فصل الطالب في خيار الطريق، ليتخذ مسلك الجهة الشرقية، خاصة بعدما وعده القادة التونسيون اليوسفيون بتأمين الطريق، وتوفير الغذاء والماء للجيش حتى الحدود الليبية[37].

وحينما عزم الطالب عبور الجنوب التونسي نحو ليبيا في أواخر ماي 1957م، وتجنبًا لسفك دماء المجاهدين قَسّم الجيش إلى فصائل: فصيلة بريك عبد القادر البوياحي، وفصيلة أحمد خنوفة، وفصيلة الأوراسيين بقيادة الشايب السبتي، الأولى والثانية اتجهتا نحو جبل المتلوي، وكانت نيّتهما الانضمام إلى الجبهة الجديدة دون الإفصاح عن ذلك؛ فاستسلما للسلطة التونسية قرب أم العرايس، وانسحبوا بذلك عن القائد الطالب العربي وجيشه[38]. وأما بقية الجنود تحركوا يقودهم الطالب العربي، من عين طاهر إلى شعبة القصب، ومنها نحو جبل بوهلال، قاصدين الحدود الليبية. ولما علمت السلطة التونسية بذلك، أشاعت في أوساط الشعب التونسي بأن جند الطالب "ڤومية" يأكلون لحم البشر، ويُمنع منعا باتا تقديم المساعدة لهم. وكما نسّقت جهود التصدي للطالب وجيشه مع قيادة الجبهة الجزائرية، ووجدت كل المساعدة المادية العسكرية من الجيش الفرنسي الذي لا يزال متمركزا في عدة أماكن من التراب التونسي[39].

ولنترك أحد جنود الطالب العربي المخلصين كشاهد عيان يروي تفاصيل رحلة الجيش ومعاناته، فيقول: ومن جبل بوهلال واصل جيش التحرير نحو حامة بني زيد، ومنها إلى جبل الحوايا بالجنوب التونسي، ثم سرنا في اتجاه جبال بني خداش. وفي هده الأثناء هجم علينا التوانسة، لكن الطالب نهانا عن الرد عليهم، وأمرنا بتخليص أنفسنا منهم فقط. ثم خرجنا من جبال الحوايا حيث وصلنا إلى جبل بقربه فسقية شربنا منها الماء، وسرنا ليلا بالجبل؛ بعدما علمنا أن الجيش التونسي جاء من جهة الجنوب، يُعضده الجيش الفرنسي. وصلت الشاحنات إلى الفسقية، فأمر الطالب بأن: ردّوا ودافعوا عن أنفسكم ولا تضربوا، ولا تتركوا العدو يقترب منكم. وفي هذا الوقت العصيب، وليتسع الخرق على الرّاقع، انسحبت إلى الجيش التونسي مجموعات كانت ضمن جيش الطالب، مجموعة أولاد سيدي عبيد، ومجموعة اللمامشة، ومجموعة صالح بن يوسف[40]. وبعد مطاردات عنيفة واشتداد العطش والجوع بالطالب وجيشه، بحيث وجده المجاهد بشير بوغزالة لا يستطيع أن يتحرك من شدة العطش، وهو ما حدا به بأن أمر مرافقه سالم برفع الراية البيضاء؛ حقنا للدماء وحفاظا على أرواح جيشه، وسلمنا أنفسنا بفسقية الماء وقدمنا سلاحنا، وصلنا قائدهم "جربوع مصباح"، فقال للطالب: "ملاّ نهار يا الطالب تلاقينا فيه"[41].

وفي رواية أخرى، تعطي أكثر تفاصيل لحظة القبض على الطالب وجيشه، ومفادها: وفي بني خداش منعوا عنه (الطالب) الماء والجو صيف 20 جوان 1957م، كاد يموت جميع جيشه عطشا، حتى شربوا بولهم. فاوضوه على العودة من حيث أتى، ويضمنون عدم إلحاق الأذى به، وبجنوده، ماطلهم، فأحاطت به إضافة للحرس فرنسا قادمة من حاميتها برمادة. وأمام الهلاك والموت الجماعي، أُجبر الطالب على قبول العرض المسموم؛ فخدعوه، وأُلقي عليهم القبض جميعهم، واستقبلوهم في القرية بالسب والشتم ورمي الحجارة والبزغ.. وأخذوا الطالب و26 من قادته الميدانيين ونائبه المكي بن علي، ونُفذ فيهم حكم الاعدام فارتقوا شهداء عليهم رحمة الله، ونكّلوا ببقية الجند، وسجنوهم 16

شهرا جميعهم، ولم يخرجوا إلا بتدخل من حكومة فرحات عباس بعد وقت من تنصيبها[42].

وهكذا يكون الطالب العربي قد استمر في القيادة مدة 16 شهرا، من منتصف شهر فيفري عام 1956م حتى آخر جوان 1957م، عليه رحمة الله.

4- أفراد جيش الطالب العربي في غياهب سجون الجلاد التونسي:

4-1- من الفسقية إلى سجن صفاقس:

وبعد الاستسلام، يقول المجاهد مصباح بريك، جمعونا في الفسقية، وكبّلونا كل اثنين مع بعض جلوسا. ثم حملونا في شاحنات على تلك الحال بطريقة مهينة جدا وكأننا غنم، بحيث يُرفع الواحد منا من مِرفقية ويُرمى في الشاحنة، غير آبهين بإنسانيتنا، ثم نزلوا بنا إلى مدينة مدنين، طافت بنا القوات التونسية الشوارع، وهي تحرض علينا الشعب، وتقول هؤلاء القومية العملاء المرتزقة من طرف فرنسا، يريدون أن يفسدوا عليكم استقلالكم؛ فأخذ الشعب التونسي ينتقم منا، ويرجمنا بالحجارة[43]. وبعد ذلك ذهبوا بنا إلى مستودعات ونحن مقيدين، وقاموا بتقسيمينا إلى مجموعتين كل مجموعة في مستودع، وبقينا مدة ثلاثة أيام ونحن مكبّلين دون أكل ولا شرب، ودورة المياه عبارة عن برميل متوسط الحجم[44].

وفي اليوم الرابع، حوّلونا إلى سجن قابس، وهو سجن صغير جدا عشنا فيه أسوأ أيام حياتنا، حيث جرّدونا من ثيابنا وعذّبونا عذابا شديدا، كما كنا نبيت في العراء، وكنا نقضي حاجاتنا البيولوجية في أسوأ الظروف وعلى مرأى الجميع. ومن محاسن الصدف أن انتظمت يوما مظاهرة خارج السجن للمطالبة بإطلاق سراح الموقوفين من التونسيين الذين كانوا مع المجاهدين؛ فقامت الإدارة بتوزيع المجاهدين الجزائريين على مجموعتين: الأولى

وُجهت إلى مدينة صفاقس، وكان أغلب جيش الطالب العربي ضمن المجموعة، والثانية إلى سوسة[45].

مكث المجاهدون في سجن صفاقس مدة ستة إلى سبعة أشهر، كانوا حوالي 140 مجاهدا تم تقسيمهم على غرفتين، 70 في كل غرفة، كُتبت عليهما "غرفة المحفوظين"؛ وعندما سأل المجاهدون عن هذه التسمية، أجابهم الحراس على أنهم ليسوا مساجين، بل وجودكم مؤقت، يُحتفظ بهم لفترة ثم يغادرون السجن، غير أن الواقع غير ذلك، يقول المجاهد مسعود واصفا الحالة المزرية التي كان عليها جنود الطالب في هذا السجن: حيث كنا نبيت على الإسمنت، وسُلِّم لكل واحد منا غطاء قديم، نصفه فراش والآخر غطاء صيفا وشتاء، وعندما حلّ فصل الشتاء، كنا بلباس صيفي قد تمزق بفعل القدم والغسل، وأحيانا يرغموننا على ارتداء لباسنا مبللا في فصل الشتاء. وفي حادثة اعتداء مهين على أحد زملائنا، حيث انهال عليه السجّانون بالشتم والضرب المبرح؛ فأصيب في أنفه، فلم يكف الدم من السيلان، وعندما أخذوه إلى الطبيب وكان فرنسيا، رفض أن يداويه محتجا على الوحشية والهمجية التي مورست عليه. ومن ذلك اليوم خفضوا وتيرة العذاب؛ بعد أن تدخل مدير السجن معتذرا، ووعد المجاهدين بعدم تكرار ذلك[46].

وبعد أن تحسنت العلاقة بين سجناء جيش التحرير وإدارة السجن، سمحت الأخيرة بكتابة رسالتين فقط لمن لهم أقارب في تونس، ومن المجاهدين من كان يُعتقد بأنهم فارقوا الحياة، لكن إحدى هاتين الرسالتين أخبرتهم بأنه حيّ يرزق، وهو ما أخبرنا به المجاهد بلقاسم خالدي أحد نزلاء هذا السجن، فيقول: كان خزاني باسي كاتب إحدى هذه الرسائل، فقلت له قل لحميده خالي ساكن الرديف أن بلقاسم ولد أختك معنا في هذا السجن، ومن محاسن الصدف أن والدتي كانت عنده عندما وصله الخبر، فعرفت أمي أني على قيد الحياة؛ فأصبحوا يرسلون لنا الدراهم وزيت الزيتون وغيرها[47].

ويُذكر أن السّجّان الذي يحرس المجاهدين في هذا السجن قد حكمت عليه فرنسا بـ 120 سنة سجنًا، وعندما نالت تونس استقلالها أُطلق سراحه، كان عندما يفتح باب السجن يهرب خوفا من المجاهدين، ومرّة بعد رجوعه من العطلة؛ طلب من النزلاء من جند الطالب العربي السماح والاعتذار لكونه قد ضللوه، وقال لهم أنتم جيش التحرير الجزائري حقا، وليس كما يقولون بأنكم قومية تأكلون في لحم العباد؛ فأصبح يقدم المساعدات ويعاملهم بالحسنى، ويترك باب الغرف مفتوحا[48].

4-2- من سجن جوقار[49] إلى التحرر والحرية:

وبعدما أتم المجاهدون السبعة أشهر تقريبا في سجن صفاقس، تم تحويلهم إلى سجن جُوقار وهو سجن سيء الصمعة، وفيه جمعت السلطات التونسية كل سجناء جيش الطالب العربي من قفصة وصفاقس وسوسة. يذكر أحد من وُجّه إلى سجن جوقار، بأنهم نقلونا على الشاحنات مقيّدين كل اثنين مربوطين مع بعضهما، ومن الطرائف أن العسكري الذي معهم من التوانسة لم يستطع فتح علبة السردين، فقال له المجاهد مصباح بريك ناولني إياها؛ ففتحتها بفمه، فقال له زميله: "رد بالك هذا لو يفلت يأكلنا". ولم يكن حال المجاهدين في هذا السجن بأحسن من السجون الأخرى، التعذيب والإهانة، والتجريد من الثياب مع الضرب والركل. وأما عن الأكل فحدّث ولا حرج، التراب في قاع البرمة، والفئران والصراصير تطفو فوق المرق، والذي يحتج مصيره اللكم والركل وتسلط عليه أشدّ العقوبات[50].

بقي جنود جيش الطالب العربي في سجن جوقار الموحش على هذه الحالة المزرية مدة أربعة إلى خمسة أشهر، ومن ثم تم نقلهم إلى سجن "باردوا" بتونس العاصمة، وهناك بدأت تأتي العائلات تزور المجاهدين وتجلب معها شيئا من الأكل، فكان الواحد منهم يُضرب قبل أن تُسلم له سلة الأكل؛ فكتب المجاهدون رسالة يشكون حالهم إلى المسؤول، ولكن هذا الأخير بدل أن يراعي حالتهم ويرفع عنهم الغبن، عاقب الكتاب

وهم: العيد عزة، ولعوينة عبد الكريم العايبي، وواحد اسمه محمد الصالح؛ بالزحف على اللوس[51].

وبعد مضي ثلاثة أشهر، نُقل المجاهدون إلى سجن الجديد، حيث تم تجميع كل المساجين من جماعة الطالب العربي السياسيين والعسكريين. في هذا الظرف تشكلت الحكومة الجزائرية المؤقتة في 19 سبتمبر 1958م على رأسها فرحات عباس، بحيث تم إطلاق سراح جماعة الطالب بعد ذلك بأسبوع في 26 سبتمبر 1958م دون محاكمة، وجاءت الشاحنات في المساء، وغادر المجاهدون السجن إلى مكان أعد لهم خصّيصا بميناء تونس، وحضر وفد عن الحكومة المؤقتة، سجلوا كل الحاضرين، وخيّرونا بين من يريد مواصلة الكفاح، ومن يريد أن يذهب لبيته؛ فاختار قليل من المدنيين والمرضى الذهاب إلى بيوتهم، واختار الأغلبية مواصلة الكفاح[52]. ومن أعضاء وفد عن الحكومة حضر الصحفي والإعلامي "عيسى مسعودي"، وألقى خطبة حماسية بليغة شحذ فيها الهمم، وأشاد بنضال الطالب العربي وأثنى على جهاده، ورفع فيها من معنويات جيش الطالب، وختم بالقول: "سنلتقي في الجزائر حرة مستقلة"، ثم بدأ علي منجلي بتقسيم جيش الطالب إلى عدة فرق للتوجه للحدود الجزائرية التونسية للالتحاق بالجيش[53].

5- توزيع جنود الطالب العربي على كتائب وفرق جيش الحدود:

بعد أن تم تسريح جماعة الطالب من السجون التونسية، مُنعوا من التوجه إلى الصحراء وخاصة الذين اختاروا مواصلة الكفاح؛ للرّيْب الذي كان يختلج القيادة آنذاك من تجمع الجيش السوفي من جديد. وقام القادة بتوزيعهم على نواحي وفيالق القاعدة الشرقية المرابطة على الحدود التونسية بعدد أربعة إلى ستة أفراد. وللإشارة فإن المنطقة كانت مقسمة إلى ناحيتين، الأولى شمال مركز "البيرانو" وتسمى La Zone Nord، وجنوبه (المركز) تسمى La Zone Sud، وكل ناحية تتكون من ثلاثة أو أربع فيالق، وكل فيلق

موزع إلى ثلاثة كتائب، وكل كتيبة تحوي ثلاثة فرق أو فصائل، والفصيلة بدورها مقسمة إلى ثلاثة أفوج[54].

يذكر المجاهد مصباح بريك، أن القيادة قامت بتوزيعنا على مركزين هامين، مجموعة وُجهت إلى غار ديماء أو ديماو شمال مركز البيرانو، والثانية إلى مركز بيرانوا. وكنت ممن وُجهوا إلى المركز الأول، وهو مركز عسكري كبير، ومنظم تنظيم متطور. وبحكم تدريبنا البسيط الذي يقتصر على حمل البندقية وطريقة الرمي، قاموا بتدريبنا تدريبا مكثفا مدة أربعة أشهر على استعمال أنواع الأسلحة الجديدة والفتاكة التي استفادت منها الجبهة في العام 1959م، فهناك السلاح المضاد للطيران، والسلاح الموجه للأنفاق (الكازمات)، وطرق المواجهة العسكرية مع العدو، وعمليات فك الألغام وتفجير الأسلاك الشائكة. وبعد انتهاء فترة التدريب قاموا بتوزيعنا على الكتائب، الكتيبة الأولى، تحت قيادة عبد الرحمان بن سالم، والثانية بقيادة "شابو عبد القادر"، وكنت ضمن هذه الكتيبة، والتي كان مركزها في حمام وشتاتة بالقرب من الحدود الجزائرية، وتحوي الكتيبة ثلاث فرق، نحن في فرقة "بودالي عبد القادر"، وفيها من السوافة: مصباح بريك، لجدل الصيد، عيسى شعباني، ومحمد حلواجي الشامسي، وأحمد لسود، ومحمد علي التغزوتي، والمولدي كوردي[55].

وأما مجموعة جبل بيرانوا، منهم المجاهد العربي بلول، الذي يروي مشهد انضمامه لهذا المركز، فيقول: وصلنا ليلا إلى المركز المشهور لجيش التحرير، وكان في غابة كثيفة من أشجار الصنوبر تحيطها الجبال، استقبلنا قائد المركز "الرائد فلاح". ولما حان وقت الفجر من اليوم الموالي، اصطف الجميع لتحية العلم الوطني، وبعدها قدموا لنا اللباس العسكري. وفي المساء تم التجمع وشُكل الفيلق من جديد، فوزعت المجموعة القادمة من ثلاثة إلى أربعة أفراد على الفصائل، فانضممت إلى وحدة بقيادة "بابا علي شعبان"، ومعي من

الأخوة من جنود الطالب: عطية بحير، والمولدي بريك، والعايش ميلودي، وبشير بوغزالة[56].

وهناك مجموعة أخرى ذهبت إلى "تلابت" المحاذية لجبال تبسة[57]، وكان من بين أعضائها: الهادي بوغزالة، صالح بوغزالة، خليفة حتيري، وعبد القادر صياد. ليُفصح الأول في شهادته، بأن هناك من نصحهم بالانضمام إلى فرقة "قدور جلالي"؛ لأن معه مجموعة من جيش الطالب، فكان لنا ذلك، ورحب بنا وأدخلنا إلى المخزن، وقال: خذوا ما أردتم من الملابس. وفي الغد صعدنا إلى جبل الشعنبي شرقي تبسة، وبالضبط في المكان الذي يدعى "خنقة قوبل"، وهو الجبل الذي يعسكر فيه الجيش. ثم شرعوا في تدريبنا عل السلاح والقتال تدريبا عصريا وبأسلحة حديثة، والتمرين على حرب العصابات وعلى استعمال "البنقالور" أو البنكالور؛ وهو عبارة على أنبوب أو قصبة من البلاستيك 40 أو من الحديد، طوله حوالي 60 سم، يُعبأ بمادة متفجرة الديناميت T.N.T سريع الاشتعال، وفي رأسه مثل فتيل الشمعة، ويتم اشعاله بوسيلة خاصة ضوؤها خافت لا يرى، ويُستعمل لنسف خطا شال ومريس المكهربين، وكما تم تدريبنا على الإغارة والكمين والهجوم والفك والتركيب والرمي[58].

وبالرجوع إلى أفراد جند الطالب المسرحين من السجون التونسية، عرفنا بأن منهم من اختار الذهاب إلى الأهل، ومن أولئك المجاهد محمد ناوي، بحيث يقول: "أنا كنت ممن اختاروا إلى الأهل، وكان بصحبتي أبناء عمومتي وهم: عبد القادر ناوي، وإبراهيم ناوي، والمولدي ناوي، ومحمد بن تيشة، وكانت عائلتي حينها موجودة في نفطة، وهناك اتصلنا ببلال بشير وعبد المجيد بوصبيع والأخذاري، حيث كُلّفت مع الهاشمي بلول ودويم أحمد للاتصال بالبدو الرحل في الحدود؛ لأخذ المعلومات وجمع الاشتراكات"[59]. ويتضح من هذه الشهادة أن الذين اختاروا الرجوع إلى الأهل من جند الطالب لم يركنوا إلى الراحة والدعة، بل واصلوا جهادهم وتضحياتهم والتخطيط للكفاح ضد المستدمر البغيض.

خاتمة:

نخلص من خلال ما تم عرضه إلى النتائج الآتية:

– وُلد ونشأ الطالب العربي الحِمدي في وادي سوف، بين أحضان أسرة فلاحية فقيرة، فقدت عائلها منذ صغره، كفله جدّه لأمه، علّمه وأحسن صقل شخصيته، بتحفيظه كتاب الله؛ وأخذ لقب "الطالب" في بواكير عمره. نهل مبادئ العلم في محاضن زوايا المنطقة وفقهائها، تتلمذ حركيا على يد رجال الإصلاح والوطنيين الشرفاء؛ بحيث تشّرب وتغذى بحبّ الوطن والجهاد، وبغض المستدمر وأعوانه مُذ صباه.

– عاش الطالب الشاب في بيئة ينعدم فيها الأمنين، من الجوع والخوف، كبقية الشعب الجزائري الذي كان يرزح تحت نير الاستعمار؛ مما دفعه أن يُولي وجهه شطر تونس كأكثر أترابه، بحثا عن سعة في الرزق، وبسطة في العلم. ونظرا لحركيته وشخصيته المتّقدة التي تأبى الركون، استغل وجوده كعامل في منجم الرديف، لينخرط وينشط في اتحاد الشغل التونسي، ليضيف إلى مساره خبرة العمل النقابي والنضالي. احتك برجال المقاومة من تونس، وشارك كمجاهد في الثورة التونسية؛ لقناعته بفكرة الكفاح المغاربي الوحدوي من أجل تحرير الأوطان، في بوتقة العروبة والإسلام.

– لبّى نداء الوطن، وشارك في الثورة الجزائرية منذ اندلاعها، عمل تحت إمرة سي الجيلاني بن عمر، ويُعيّن بعد استشهاد الأخير على رأس جيش التحرير، ليعيد ترتيبه من جديد، فتضاعف عدد أفراده ليصل حدود الألف، وأضحت تأتيه الميرة والتبرعات من داخل البلاد وخارجها. غيّر من التكتيك العسكري في حربه ضد العدو الفرنسي، قضّ مضاجعه وأصبح يحسبُ له ألف حساب.

– آوى إليه أفرادا من جماعة بن يوسف التونسيين، ليضمهم إلى جنده كمجاهدين للعدو الفرنسي؛ ليشكل ذلك فيما بعد نقطة انعطاف خطيرة عليه وعلى جيشه، وهذا بتحالف

النظام البورقيبي البرغماتي مع الجبهة الجزائرية الجديدة التي اعتبرت الطالب العربي متمردا. وحِيكت خيوط المؤامرة بين ثالوث أوقع به الدوائر والخطوب، وتشابكت بين أطرافه المصالح والأهواء وربما الغيرة؛ ليقع الطالب العربي ومعظم قادة جيشه فريسة غدر، وينتهي المشهد بالتصفية والإعدام.

– وما مصير أفراد جيشه بأحسن حال، فقد مورست عليهم أبشع أنواع العذاب والإهانة، وزُجّ بهم في غياهب سجون الجلاد البورقيبي، ويمتد مكثهم كنزلاء في هذه السجون حوالي ستة عشرة شهرا. ثم يُفرج عنهم بعد تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة تحت رئاسة فرحات عباس، ويُخيرون بين جبهات القتال أو العودة إلى الديار؛ ليختار أغلبهم مواصلة الجهاد والصعود إلى الجبال، وقد أبلوا البلاء الحسن في شجاعة واقتدار، في تحرير الجزائر وفكّها من مخالب الذئب المفترس الغدار.

الهوامش:

1– المتحف الوطني للمجاهد (ملحقة ولاية الوادي)، **الشهيد الطالب العربي قمودي**، سلسلة رموز الثورة الجزائرية 54–1962م، من إصدارات ملحقة ولاية الوادي، الوادي 2007م، ص ص. 13–14.

2– المرجع نفسه، ص ص. 16–17.

3– زكي أيوب، **القائد البطل الطالب العربي قمودي**، [على النت]، تاريخ النشر: 2020/8/20م، تاريخ التصفح: 2022/7/22م، الرابط:

https://www.memakhfee.com/2020/08/Arabe-Gammoudi.html.

4– بوغزالة حمد الهادي، **شاهد من الثورة، مذكرات المجاهد بوغزالة حمد الهادي**، مطبعة سخري، الوادي 2012م، ص. 39.

5– المتحف الوطني للمجاهد (ملحقة ولاية الوادي)، المرجع السابق، ص ص. 80–81.

6– سعد العمامرة والجيلاني العوامر، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة بوزريعة، الجزائر، ص. 35.

7– الجيلاني بن عمر: هو ابن الطالب العربي بن عمر وفاطمة الشايب، ولد سنة 1926م بالعقلة بوادي سوف، تعلم القراءة والكتابة الأولية على يد والده، ونتيجة لشظف العيش وقساوة الحياة، انتظم الجيلاني الشاب كجندي في الجيش الفرنسي مدة ثلاث سنوات (1950–1953) بمنطقة رمادة بالجنوب التونسي، ليطرد من الجيش بعد شجار بينه وبين أحد المسؤولين؛ فرجع إلى مسقط رأسه بالعقلة، وباشر العمل في إعداد العُدّة للالتحاق بالثورة التونسية، فكان له ما أراد، لينظم فيما بعد للثورة المذكورة بمجال قفصة تحت قيادة الطاهر الأسود، وقد عمل الجيلاني بكل شجاعة وإخلاص بجانب إخوانه التونسيين إلى صيف

1954م. وعندما اندلعت الثورة الجزائرية عُيّن الجيلاني كقائد على الحدود الشرقية إلى غاية استشهاده في 1955/10/21م رحمه الله. محمد السعيد عقيب، **دراسات في تاريخ وادي سوف**، سامي للطباعة والنشر، الوادي 2016م، ص ص. 10-18.

8- عبد الله مقلاتي، "الطالب العربي قائد جبهة الحدود بوادي سوف بين التمرد على السلطة التونسية ومعارضة قيادة الجبهة الجزائرية 1956-57"، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، العدد 146، مارس 2012م، ص. 183.

9- المتحف الوطني للمجاهد (ملحقة ولاية الوادي)، المرجع السابق، ص ص. 36-37.

10- عبد الحميد بسر، **الشهيد القائد الطالب العربي قمودي**، مطبعة مزوار، الوادي 2014م، ص. 182.

11- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص. 18.

12- بوغزالة حمد الهادي، المصدر السابق، ص. 23.

13- علي غنابزية، **أدوار الكفاح المسلح في وادي سوف** 1854-1962م، مطبعة الوادي، الوادي 2016م، ص ص. 108-110.

14- المتحف الوطني للمجاهد (ملحقة ولاية الوادي)، المرجع السابق، ص ص. 52-55.

15- الصادق دقاشي، **صفحات خالدة من جهاد الصادق دقاشي**، تحرير وتصدير، عاشوري قمعون، سامي للطباعة والنشر، الوادي 2021م، ص. 41.

16- رواية المجاهد حسن جابر. ينظر: أنور العايب، **مجموعة القائد البطل الشهيد الطالب العربي قمودي**، [على النت]، تاريخ النشر: 2021/11/22م، تاريخ التصفح: 2022/7/24م، الرابط:
https://www.facebook.com/groups/687696781296806.

17- المتحف الوطني للمجاهد (ملحقة ولاية الوادي)، المرجع السابق، ص ص. 60-62.

18- الصادق دقاشي، المصدر السابق، ص. 42.

19- ينظر: مصباح بريك، **شاهد من الثورة، مذكرات المجاهد مصباح بريك**، سامي للطباعة والنشر، الوادي 2019م، ص ص. 31-41؛ مديرية المجاهدين لولاية الوادي، **السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية بولاية الوادي** 1954-1962م، منشورات الجمعية التاريخية أول نوفمبر بالوادي، سامي للطباعة، الوادي 2021م، ص. 76.

20- اليوسفيون: نسبة إلى الثائر "صالح بن يوسف" المولود بجزيرة جربة يوم 1907/10/11م، يعتبر من أبرز رجال الحركة الوطنية التونسية في خمسينيات القرن 20م. قاد حركة المعارضة للنظام التونسي الجديد انطلاقا من طرابلس، ثم القاهرة، ليتم اغتياله بألمانيا في 1961/08/12م. وحول الخلاف والنزاع اليوسفي -البورقيبي. ينظر: المنجي وارده، "جذور الحركة اليوسفية"، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي، (تونس)، العدد 71-72، ماي 1993، ص ص. 480-518؛ عميرة عليّة الصغير، **اليوسفيون وتحرر المغرب العربي**، المغاربية للطباعة والنشر، الشرقية، تونس 2011م، ص ص. 40-46.

21- الحوايا: تقع بلاد عروش الحوايا بمعتمديّة بني خداش، التي تنتمي إداريّا إلى ولاية مدنين بالجنوب الشّرقيّ من البلاد التّونسيّة.

22- سعد العمامرة، **دراسات وأبحاث في قضايا ثورة التحرير الجزائرية**، د. د، الجزائر 2019م، ص. 87.

23- عثمان سعدي، **مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج**، دار الأمة، الجزائر 2000م، ص ص. 136-137؛ علي غنابزية، المرجع السابق، ص. 112.

24- محمد بالقاسم وآخرون، **القواعد الخلفية للثورة الجزائرية - الجهة الشرقية** - 1954-1962م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007م، ص. 127.

25- سعد العمامرة، **دراسات وأبحاث**..، ص. 86.

26- بلقاسم خالدي، **شاهد من الثورة، مذكرات المجاهد بلقاسم خالدي**، مطبعة سامي، الوادي 2021م، ص. 43.

27- محمد الصالح نصير، **مذكرات المجاهد الرائد محمد الصالح نصير**، منشورات متحف المجاهد بالوادي 2015م ص. 152.

28- الصادق دقاشي، المصدر السابق، ص. 69.

29- علي بوصبيع، **مجموعة القائد البطل الشهيد الطالب العربي قمودي**، [على النت]، تاريخ النشر: 2017/8/25م، تاريخ التصفح: 2022/7/24م، الرابط:

https://www.facebook.com/groups/687696781296806.

30- وحول قضية اغتيال عمار مقى، ينظر المصادر الآتية: مصباح بريك، المصدر السابق، ص. 44؛ الصادق دقاشي، المصدر السابق، ص ص. 70-71؛ بلقاسم خالدي، المصدر السابق، ص ص. 43-44.

31- بوغزالة حمد الهادي، المصدر السابق، ص ص. 38-39؛ محمد الصالح نصير، المصدر السابق، ص. 153؛ علي بوصبيع، المرجع السابق.

32- حول نقطة الحد 233 وتجاذباتها، ينظر: أحمد مسعود سيد علي، "أزمات الثورة الجزائرية مع الحكومة التونسية 1959/1962م"، **مجلة الباحث**، مج. 6، ع. 2، جوان 2018م، جامعة الوادي، ص. 279؛ فاتن المشيشي، **ضبط الحدود الفرنسية الجزائرية بين** 1881-1962م (**دلالات التحييز الفرنسي**)، شهادة ماجستير في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 2009/2008م، ص ص. 150-156.

33- مسعود بن علي، المصدر السابق، ص. 58؛ بلقاسم خالدي، المصدر السابق، ص ص. 45-46.

34- محمد الصالح نصير، المصدر السابق، ص ص. 152-153.

35- مسعود بن علي، المصدر السابق، ص. 57.

36- يعتبر الجنوب التونسي معقل المعارضة اليوسفية التي خاضت مع حلفائها من الثوار الجزائريين أهم معاركها مع الجيش الفرنسي وحلفائه، وقدمت فيه أكبر عدد من شهدائها، طيلة أكثر من سنة ونصف تقريبا بين أكتوبر 1955 وجوان 1957م. للمزيد ينظر: عميرة عليّة الصغير، المرجع السابق، ص. 97.

37- بوغزالة حمد الهادي، المصدر السابق، ص ص. 39-40.

38- مصباح بريك، المصدر السابق، ص ص. 47-49؛ مسعود بن علي، **مسيرتي خلال مرحلتي التحرير والبناء (مذكرات المجاهد مسعود بن علي)**، سامي للطباعة والنشر، الوادي 2021م، ص ص. 57-58؛ معتوقي إبراهيم، **شاهد من الثورة، مذكرات المجاهد معتوقي إبراهيم**، مطبعة منصور، الوادي 2015م، ص. 42.

39- مصباح بريك، المصدر السابق، ص. 50.

40- بلقاسم خالدي، المصدر السابق، ص. 55.

41- بوغزالة حمد الهادي، المصدر السابق، ص ص. 41-42؛ العربي بلول، **شاهد من الثورة، مذكرات المجاهد العربي بلول** 56-1962م، مطبعة مزوار، الوادي 2010م، ص ص. 39-45؛ بلقاسم خالدي، المصدر السابق، ص ص. 51-57.

42- ينظر: الصادق دقاشي، المصدر السابق، ص ص. 81- 82؛ علي بوصبيع، المرجع السابق.

43- محمد الصالح نصير، المصدر السابق، ص. 156.

44- محمد ناوي، **مذكرات المجاهد الرائد محمد ناوي**، مطبعة مزوار، الوادي 2015م، ص. 53.

45- مسعود بن علي، المصدر السابق، ص ص. 74-75؛ العربي بلول، المصدر السابق، ص ص. 55-56.

46- بوغزالة حمد الهادي، المصدر السابق، ص. 43؛ مسعود بن علي، المصدر السابق، ص ص. 75-77.

47- بلقاسم خالدي، المصدر السابق، ص ص. 59-61.

48- مصباح بريك، المصدر السابق، ص. 59.

49- جُوقَار: قرية تقع في معتمدية الفحص بولاية زغوان بالوسط التونسي، جنوب شرق مدينة الفحص. والإصلاحية السجنيّة بجبل جوقار، نزلاؤه من المحكوم عليهم بعقوبات طويلة الأمد، ويعتبر من السجون القديمة ترجع إلى العهد الفرنسي. عبد اللطيف الحناشي، "السجن وظروف المساجين الصحية بين 1920-1920"، **مجلة روافد**، ع. 13، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2008م، ص ص. 173-198.

50- بوغزالة حمد الهادي، المصدر السابق، ص. 44؛ مصباح بريك، المصدر السابق، ص ص. 59-60؛ محمد ناوي، المصدر السابق، ص. 53.

51- بوغزالة حمد الهادي، المصدر السابق، ص ص. 45.

52- مسعود بن علي، المصدر السابق، ص. 84.

53- العربي بلول، المصدر السابق، ص. 44؛ مصباح بريك، المصدر السابق، ص. 66.

54- للمزيد حول تلك التنظيمات العسكرية، وعدد الجنود في كل وحدة. ينظر: عبد الملك مرتاض، **دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية** 1954-1962م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (د.ت)، ص. 56.

55- مصباح بريك، المصدر السابق، ص. 67.

56- العربي بلول، المصدر السابق، ص ص. 44-45.

57- تلابت: بلدة تونسية تقع في معتمدية فريانة من ولاية القصرين، في الجهة الغربية المحاذية لجبال تبسة بالأراضي الجزائرية.

58- بوغزالة حمد الهادي، المصدر السابق، ص ص. 48-49؛ مسعود بن علي، المصدر السابق، ص. 88.

59- محمد ناوي، المصدر السابق، ص ص. 53-55.